مقدمة فى البحث والمنهج

يُثير موضوع الكتاب «إشكالية الحرب والجهاد فى علاقة الغرب بالإسلام» العديد من القضايا المهمة التى ترتبط به من قريب أو من بعيد. ومن بين هذه القضايا ـ نجد على سبيل المثال:

- الخلط بين مفاهيم الحرب، والجهاد، والحرب المشروعة، والحرب المقدسة، وغيرها من المفاهيم.
- ميراث العداء الغربى المستحكم فى مواجهة الإسلام والمسلمين.
- الأكاذيب والادعاءات الموجهة للإسلام من جانب العديد من المستشرقين.
- إخفاق الأيديولوچيات المعاصرة فى النهوض بالعالم الإسلامى لافتقادها إلى روح الإسلام، وتبنيها لمرجعيات غير إسلامية.
- أبعاد الأزمات الثقافية والحضارية الراهنة التى تعانى منها الأمة الإسلامية.

... فى مقابل تَعَدّد القضايا المثارة.. تَعدَّدت «أساليب البحث» ما بين المنهج التاريخى.. والنقدى التحليلى.. مروراً بالمنهج المقارن ـ بهدف الوصول إلى نتيجة ملموسة يتحقق بها الهدف المنشود من إعداد الكتاب.

قمنا بعمل «تقسيم منهجى» للبحث فى إطار «محاور رئيسة أربعة» يضم كل محور مباحث فرعية وفقًا للتصور التالى:

المحور الأول: يهتم بتوضيح الرؤية الإسلامية للحرب والجهاد، بدءاً من تأصيل المفاهيم الأساسية، وقدرة الشريعة الإسلامية على المواءمة بين الحرب والأخلاق الفاضلة، وصولاً إلى عقد مقارنة بين حروب المسلمين وحروب الآخرين.

المحور الثانى: نُقدم من خلاله «قراءة» لغزوات الرسول الكريم ـ التى أرْسَتْ **«تقاليد الحرب وآداب الجهاد»** فى الإسلام ـ وتقديم مشاهد ومواقف مضيئة من أخلاقه الكريمة.. والتأكيد على الحقيقة الإسلامية الكبرى ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ ودَحْض افتراءات أعداء الإسلام من خلال المواقف الفكرية لعدد من المستشرقين العدول وغيرهم من المفكرين المسلمين.

المحور الثالث: وفيه نتناول موقف «الغرب المسيحى» من الإسلام والمسلمين منذ أن بعث **«النبى الكريم»** برسالته إلى **«قيصر الروم»** يدعوه فيها إلى الدخول فى الإسلام. وكيفية استحكام مشاعر «الخوف والعداء» فى نفوس الغربيين، وما أدت إليه من تشوهات وضلالات فى حق الإسلام ونبيِّه الكريم ـ عبر أساليب وحركات عديدة ثقافية كالاستشراق.. ودينية كالتبشير، أو عسكرية عدوانية كالاستعمار وما يتبعه من نهب واحتلال.

المحور الرابع والأخير: تدور فكرته الرئيسة حول أهمية **«الإصلاح بالإسلام»**.. وضرورة الاقتداء بالرسول الكريم وكيفية استلهام هدْيه لاستعادة الأمة لدورها الثقافى والحضارى المفقود. وقبل تقديم العلاج، قُمْنا بتشخيص الأمراض والأوجاع من خلال توضيح معالم الأزمة الراهنة وأخذ الدروس والعبَر من فشل كافة الأيديولوچيات التى لم تَسْتلْهم الإسلام، فلم تتمكن من تحقيق التقدم والنهوض المنشود.

مصادر البحث

● اعتمدنا فى إعداد البحث على «مصادر أساسية» يأتى فى مقدمتها: القرآن الكريم، وكتب التفاسير المتنوعة للقرآن الكريم، وكتب الحديث النبوى الشريف، وكتب السيرة النبوية المطهرة.

● تنوعت مراجع البحث الأخرى بين مراجع عربية تراثية، ومراجع عربية حديثة، ومراجع أجنبية مترجمة أو فى لغاتها الأصلية.. **ولأصحابها جميعًا يعود الفضل فى إتمام هذا الكتاب.**

● قمنا بإعداد قائمة خاصة بمراجع كل فصل على حدة، مرفقة فى نهاية البحث. ويأتى ترتيب المراجع بالأرقام فى كل قائمة وفقًا لأولوية الرجوع إليها فى قضايا البحث المختلفة.

تنويه

من بين أهم المصادر التى رجعنا إليها عند الشروع فى إعداد البحث يأتى كتاب **«الإسلام بين الشرق والغرب» الذى أعده المفكر الإسلامى الراحل الدكتور على عزت بيجوفيتش**(*) فى مقدمة ما طالعناه من مصادر. فهذا الكتاب المتميز بثرائه الفكرى ومنهجه المحكم، يُقَدِّم الإسلام للقارئ ـ فى الشرق والغرب ـ كمنهج متكامل للحياة بأبعادها المادية والروحية باعتبار أن الإسلام هو البديل الملائم للبشرية فى مجالات الثقافة والحضارة والعلوم والفنون والآداب ـ وهى مجالات حركة الحياة ـ بعد فشل كافة النظم والأيديولوچيات المعاصرة فى علاج أزمات العصر والإنسان. يأتى هذا الكتاب بمثابة «دعوة مفتوحة» لحوار فكرى هادئ بين أتباع مختلف الفلسفات والثقافات والأديان ـ بعقول مدركة وقلوب مبصرة - للتعرف على «حقيقة الإسلام».

. . . لقد احتفينا بهذا الكتاب ـ وقمنا بتكريم مؤلفه ـ وانتهى الأمر كعادتنا دائمًا عند هذا الحد من ردود الأفعال. يُؤَكِّد «مؤلف الكتاب» أنه يستحيل تطبيق الإسلام تطبيقًا صحيحًا فى مجتمع متخلف؛ لأنه فى اللحظة التى يتم فيها التطبيق الحقيقى للإسلام فى مجتمع ما يكون هذا المجتمع قد بدأ يتخلى عن تخلفه ويدخل فى مجال الحضارة. . . لهذا، فإن الدكتور عزت بيجوفيتش يُوَضِّح لنا السر فى انحطاط المسلمين بالصورة التى نراها اليوم، فيقول:

[«لقد انشطرت وحدة الإسلام «ثنائية القطب»(**) على يد أناس

(*) حصل المفكر الإسلامى الراحل الدكتور على عزت بيجوفيتش على جائزة الملك فيصل العالمية عن هذا الكتاب، وتم تسليمها له فى احتفال بالقاهرة فى يناير ١٩٩٥م، وقد تمت ترجمة الكتاب إلى العربية وعقدت حوله الندوات وكتبت المقالات. . . ثم انفض السامر دون عمل حقيقى لنشر أفكاره التى أعلت من مكانة الفكر الإسلامى فى مواجهة تهافت الفكر الغربى وقصوره بعد إخفاق أيديولوچياته الكبرى فى علاج مشكلات الإنسان والحياة.

(**) يقصد بها المؤلف توازن الإسلام بين المادة والروح فى اهتمامه بشئون الدنيا والدين، فلا يغلب جانب على الآخر.

قصروا الإسلام على جانبه الدينى المجرد فأهدروا وحدته، وهى خاصيته التى ينفرد بها دون سائر الأديان. لقد اختزلوا الإسلام إلى دين مجرد أو إلى صوفية، فتدهورت أحوال المسلمين، وذلك لأن المسلمين عندما يَضْعُف نشاطهم وعندما يُهْملون دورهم فى هذا العالم ويتوقفون عن التفاعل معه، تُصْبح السّلطة فى الدولة المسلمة عارية لا تخدم إلا نفسها... ويبدأ الدين الخامل يَجُرّ المجتمع نحو السلبية والتخلف.. ويُشكّل الملوك والأمراء والعلماء الملحدون ورجال الكهنوت وفرق الدراويش والصوفية المغيبة والشعراء السكارى... يُشكّلون جميعًا الوجه الخارجى للانشطار الداخلى الذى أصَابَ الإسلام»].

... فلماذا لا تكون أفكار الكتاب «دليلاً» على طريق الارتقاء بالمسلمين فى الثقافة والحضارة والعلم والأخلاق والدين؟... وما هى معالم الدور الذى ينبغى أن يتم فى هذا الشأن من جانب المثقفين والمفكرين ومن جانب المؤسسات والهيئات الثقافية فى العالم العربى والإسلامى؟

... ربما يعتقد البعض أن إهمالنا لمثل هذا الكتاب ـ بعد كل هذا التهليل ـ «بأنه موجَّه للخاصة من قادة الفكر فى الغرب»... متجاهلين أننا نتتلْمذُ على الغربيين فى كل شىء... لكننا ـ وللأسف ـ أشبه ما نكون بالتلميذ البليد... فلا نأخذ إلا بأردأ الأفكار.. وأسوأ التقاليد.

... إننا أحْوَج ما نكون ـ الآن وليس غدًا ـ إلى إعادة نشر وانتشار أفكار هذا الكتاب النادر وغيره من الكُتب القيِّمة ـ على كافة المستويات... فى المدارس والجامعات.. فى المنتديات الثقافية والأندية الرياضية.. فى دور العبادة.. وفى وسائل الإعلام... قبل أن نجد أنفسنا وقد خرجنا صفْرَ اليديْن... من حقيقة الدّنيا... وحقيقة الدين.

... والله من وراء القصد، وهو يهدى السبيل.